مجزوءة البحث التدخلي



مجزوءة البحث التدخلي

العرض الأول: مدخل إلى البحث التدخلي

كاوا محمد

نشأة البحث التدخلي (la recherche-action)

“Education is a social process, education is growth. Education is not a preparation for life; education is life itself.” (**John Dewey**) "

"التربية هي سيرورة اجتماعية، التربية هي النمو. التربية ليست استعدادا للحياة، بل هي الحياة نفسها" (**جون ديوي**).

في أوائل القرن العشرين، تطلع جون ديوي إلى إنشاء علم خاص بالتربية، يشارك المدرسون عمليا في صيرورة جديدة لبحث يجمع بين البحث عن نظريات مفيدة و شكل من الاستثمار متجذر في الممارسات التطبيقية. وترتكز هذه المقاربة على تصور للتربية يعتبر المنهج العملي أساسا للمعرفة ويصبح التفكير العلمي عادة عند المربين والمتعلمين. ولعل فشل هذا الجيل الأول في تطبيق نموذجه الديمقراطي المثالي يعود إلى السرعة التي يهيمن بها ما هو تطبيقي على ما هو نظري.

نشأة البحث التدخلي (la recherche-action)

ينسب الجيل الثاني من البحث التدخلي خلال الأربعينيات، **لكورت لوين** وهو البحث المعتمد على التدخل النفسي-الاجتماعي. وقد استعمل **لوين** فكرة اقترحها **ديوي**:" التدخل يجب أن ينطلق من البحث، والبحث من التدخل".

وفي عالم التربية، يقترن البحث التدخلي باسم العالم **كوري** من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي هذا الصدد، اقترح **ستيفن كوري** على الأساتذة اعتماد هذه المقاربة كوسيلة لتحسين تعليمهم: يقول: " إن الدراسات المتعلقة بما ينبغي أن يكون وما ينبغي ألا يكون فيما يخص المدرسة يتعين إنجازها داخل عدد كبير من الفصول الدراسية يعد بالآلاف، ومثله من المجموعات، وأن يتولاها أولئك الذين يعهد إليهم بتغيير طرقهم في العمل بناء على هذه الدراسات، وهم المدرسون".

نشأة البحث التدخلي (la recherche-action)

وقد عرفت الفترة ما بين 1953 و1957 نوعا من التراجع في أهمية البحث التدخلي بسبب هشاشته. وقد انتقد العديد من الباحثين البحث التدخلي بسبب ضعفه (عدم التتبع والوقت المستهلك؟....) و منهجيته غير العلمية وسطحيته الفكرية، وذلك بالنظر إلى عدم قابلية نتائج هذه البحوث للتعميم. وقد ذهب آخرون إلى عدم امتلاك المدرسين الوقت الكافي للقيام بالبحوث، وإلى أن الوقت المستثمر في البحث يمكن أن يعرقل عملهم في التدريس.

ومنذ الثمانينيات من القرن الماضي، شهد البحث التدخلي في مجال التربية انتعاشا في شعبيته في الولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا وكندا، وتم التركيز أساسا على الأبعاد التشاركية والتفاعلية لممارسات المدرسين داخل الفصول الدراسية اعتمادا على التساؤل والاستقصاء:

" يتبنى البحث التدخلي إذن مقاربة جدلية سعيا إلى تطوير تفكير نقدي (...) وتحسين ممارسات المدرسين التربوية " وبالرغم من أن البحث التدخلي يحظى بقبول واسع، باعتباره وسيلة عملية للقيام بالبحث التربوي الذي يساهم في تحسين الممارسات وإحداث تغيرات في المدرسة، إلا أن الجدل المضاد ما يزال مستمرا.

نشأة البحث التدخلي (la recherche-action)

وقد أشارت كل من **كينغ** و**لونكفيست** إلى كون البحوث التي أجريت في بريطانيا أعطت دورا جديدا للبحث في مجال التربية، بحيث يقوم البحث التدخلي بتحليل حاجيات الممارسين في الميدان.

ووفقا لهاتين الكاتبتين ، فالأبحاث التي قام بها **دونالد شون** تبين أن البحث التدخلي يمكن من إنتاج معرفة تجريبية لم تحظ بالاعتراف سابقا من قبل الباحثين. وهي بداية انتقال البحث من الوسط الجامعي وتملكه من طرف المربين.

مفهوم البحث التدخلي

البحث التدخلي هو شكل بسيط من أشكال الاستطلاع يقوم على "التأمل الذاتي" الذي يتولاه المشاركون في مواقف اجتماعية لأجل تحسين عقلانية ممارساتهم الخاصة وعدالتها، وفهمهم لهذه الممارسات والوضعيات التي تتم في إطارها هذه الممارسات.

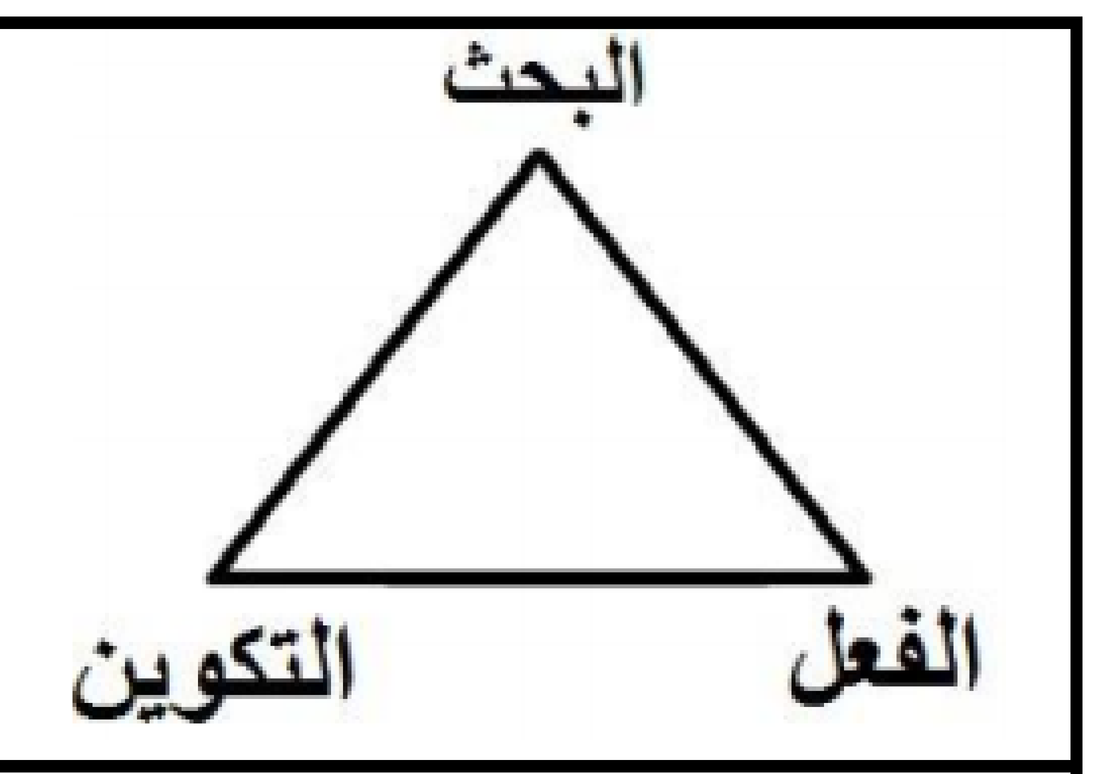
كما يمكن تعريف البحث التدخلي بأنه: "طريقة للبحث تتضمن تدخلا متعمدا لتغيير الواقع".

ابتداء من ثمانينات القرن الماضي، عرف بعض الكتاب البحث التدخلي كمقاربة، بينما فضل آخرون مصطلح النهج . تحدث البعض عن سيرورة للتعلم عن طريق الممارسة، والبعض الآخر أضاف إليه مفهوم التشارك في مجال البحث حسب طبيعة الوسط.

وأخيرا تحدث آخرون عن نشاط اجتماعي للفهم والتفسير في وضعية حل المشكلات مع أشخاص من الأوساط المدرسية والعلمية.

مفهوم البحث التدخلي

يرى سافوا زاك أن الغاية الثلاثية للبحث التدخلي تتجلى في: البحث والفعل و التكوين، في حراك متزامن ومدبرة بشكل مواز.



قطب "البحث" : يمثل استخدام صيرورة منهجية صارمة لتوجيه التدخل وتوضيحه طوال حدوثه ثم تقويم أثره .

قطب " التدخل" : يمثل الأفعال الموضوعة في وضعية ملموسة لبلوغ الهدف من منظومة البحث التدخلي ولإحداث التغيير .

قطب "التكوين" : يمثل التعلمات التي حققها من يريد فهم الوضعية وسياقها ومضمون التدخل ومساهمة صيرورة البحث التدخلي بصفته استراتيجية لإحداث التغيير. ويمثل أيضاً منهجية التكوين المستمر الذي ينخرط فيه الفاعلون.

خصائص البحث التدخلي

يتميز البحث التدخلي بمجموعة من الخصائص أهمها:

1. مندمج	يقوم به المدرس داخل ممارسته اليومية
2. تأملي	صيرورة تتم بالتناوب بين تنفيذ مخطط ما والتأمل النقدي فيه.
3. مرن	يتيح المجال للتعديلات في ما يخص المنهجيات و المعطيات وتفسيرها انطلاقا من المعارف المكتسبة أثناء صيرورة البحث، يكون البحث التدخلي بذلك مستجيبا للمتغيرات الطارئة أثناء البحث ويأخذها بعين الاعتبار.
4. نشيط	صيرورة تمت صياغتها بحيث تؤدي إلى إحداث تغييرات عبر مراحل (صغيرة نسبيا).
5. ملائم	يلبي حاجيات الأساتذة و / أو تلاميذهم.
6. دوري	يتم البحث على شكل دورات، كل دورة تسمح بتوضيح السؤال المطروح مما يؤدي إلى فهم أعمق والى نتائج أكثر دلالة.
7. هادف	يركز على قضية واحدة في تطوير أداء المدرسة.
8 تعاوني	يعمل المدرسون ومختلف الفاعلين التربويين معا كشركاء لتحسين نتائج التلاميذ.
9. مخطط	يعتمد مقاربة منتظمة للإجابة عن السؤال المطروح.
10. تعلمي	يسمح للمدرسين وهم يمارسون عملهم ببناء معارف جديدة تخص ممارساتهم

الفرق بين البحث التدخلي والبحث الأكاديمي

يختلف البحث التدخلي عن البحث الأكاديمي في مجموعة من العناصر نلخصها في الجدول التالي:

	البحث الأكاديمي	البحث التدخلي
1. حاجيات التكوين	متزايدة	قليلة
2. الأهداف	معرفة نظرية قابلة للتعميم	نتائج لتحسين الممارسة في سياق معين.
3. طريقة تحديد المشكلات	تعتمد تحليل نتائج البحوث السابقة وامتداداتها	تنطلق من القضايا التي يواجهها الممارس في عمله أو من التحسينات الضرورية لمجموعة من الأقسام أو لمدرسة من المدارس
4. بيبلوغرافيا	تحقيق معمق في الأبحاث السابقة حول الموضوع باستخدام المصادر الأولية	الاعتماد على بعض المصادر الأولية، ويمكن أيضا استعمال المصادر الثانوية وأعمال ممارسين في مؤسسات أخرى

الفرق بين البحث التدخلي والبحث الأكاديمي

5. تحديد العينات	عينة عشوائية أو ذات تمثيلية ويستحسن أن تحتوي على عدد كبيرمن المشاركين.	تلاميذ و / أو أعضاء آخرون ينتمون الى المدرسة
6. تصور البحث	يتطلب ضوابط صارمة على مدى فترات طويلة	مرن، على فترة زمنية قصيرة، والتحكم من خلال عملية التثليث
7. مقاربة البحث	الاستدلال الاستنباطي - من النظرية إلى الفرضية - إلى البيانات ثم التأكيد	الاستدلال الاستقرائي - الملاحظات والنماذج والتفسيرات والتوصيات
8. تحليل المعطيات	محاولات تؤدي الى دلالة إحصائية	في الغالب تجميع المعطيات الأولية باستعمال الإحصاء الوصفي
9. تطبيق النتائج	دلالة نظرية	دلالة عملية

إيجابيات البحث التدخلي

يشكل البحث التدخلي نموذجا قويا وفعالا للبحوث العملية للأسباب التالية:

- ❖ يمكن أن ينجز البحث في سياق خاص أو وضعية معينة؛
- ❖ قد يكون الباحثون مشاركين - فيجب ألا يكونوا منفصلين بعيدين عن وضعية البحث و سياقه ؛
- ❖ يستلزم البحث التدخلي إدخال تعديلات وتقويما مستمرا؛
- ❖ تتاح في البحث التدخلي فرص لانبثاق نظرية من البحث، بدل دراسة تعتمد دائما نظرية تمت صياغتها مسبقا؛
- ❖ قد تؤدي الدراسة الى نتائج مفتوحة؛

إيجابيات البحث التدخلي

- ❖ يسمح البحث التدخلي بالتركيز على مسألة المدرسة، أي على مشكلة أو مجال متصل بالصالح العام ؛
- ❖ البحث التدخلي شكل من أشكال تطوير الأداء المهني للمدرسين والمديرين ؛
- ❖ يوفر المزيد من التفاعل بين الزملاء؛
- ❖ للبحث التدخلي امكانات كبيرة للتأثير على التغييرات في المدرسة؛
- ❖ يوفر للمدرسين والمديرين فرصة للتأمل في ممارساتهم الخاصة؛
- ❖ يتيح البحث التدخلي فرصة لتحسين أشكال التواصل بين الممارسين و مضاعفتها.

مجالات إنجاز البحوث التدخلية في إطار عمل الأطر الإدارية وأطر الدعم

- المجال التربوي: المشاكل المرتبطة بالعملية التعليمة التعلمية كالتواصل العمودي مثلا.

- المجال النفسي: المشاكل المرتبطة بنفسية المتعلم وسلوكه كالشرود، والارتباك، وعدم الاندماج في جماعة القسم.

- المجال الاجتماعي: المشاكل المرتبطة بالمجال الاجتماعي كالهدر المدرسي المتمثل في عدم قدرة الأسرة على تحمل مصاريف التمدرس.

- المجال المادي: المشاكل المتعلقة بالمتعلم كغياب المرافق بالمؤسسة التعليمية واللوجستيك.

حاجة الإطار المتدرب إلى البحث التدخلي لتجويد عمله

الأسباب التي تدفع الإطار المتدرب إلى البحث الإجرائي :

- مراجعة الممارسة الحالية للتعرف على المشكلة،
- المساهمة في تطوير أدائه المهني وتحقيق تمكن أفضل من التخصص،
- تقييم الحل عن طريق تعديله أو تطبيقه في حالة النجاعة المطلوبة،
- مراجعة الممارسة بعد تغيرها،
- تطبيق الحل و تجريبه،

حاجة الإطار المتدرب إلى البحث التدخلي لتجويد عمله

- ضرورة تسلح الإطار المتدرب بالبحث التدخلي وذلك اعتبارا للهوة الحاصلة بين الباحثين على المستوى الأكاديمي والتربوي،
- اقتصار البحوث على الأكاديميين واستعمالها لأغراض شخصية نفعية، مع توجيه هذه البحوث إلى فئة بعينها،
- استعمال تصاميم عامة وفق معايير مجلة النشر،
- العائق اللغوي فضعف اللغة الانجليزية لدى بعض الأطر مثلا يحد من الاطلاع على البحوث الموجودة بالمواقع الالكترونية،
- صعوبة الوصول إلى البحوث التربوية، تدفع الإطار المتدرب لسلوك البحث التدخلي كوسيلة ناجعة للتغلب على هذه العوائق.